الشعر العباسي في تاريخ المسعودي
مروج الذهب ومعادن الجوهر

أ.د. يونس أحمد السامرائي
كلية الآداب – جامعة بغداد

من يتضح كتب التواريخ القديمة يجد أن الأدب كان يشغل قسماً غير قليل منها وخاصة الشعر . ولعل كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمؤرخ المسعودي أكثرها احتفالاً بالشعر والشعراء ولاسيما شعراء الدولة العباسية ، فقد حوى هذا الكتاب على عدد كبير من الشعراء العباسيين وعلى تراجمهم وجملة كبيرة من أخبارهم وأشعارهم . وهو بهذا يكاد يشارك كتب الأدب في اختصاصها، وما تورده من أخبار الشعراء وشعرهم .

ونرى من الأفضل أن ننقل ترجمة هذا المؤلف عن كتاب الأعلام قبل البدء بالحديث عما أنطوى عليه المروج مما أشرنا إليه من أخبار الشعراء وشعرهم وما يتعلق ببعض الأمور الأدبية الأخرى التي جاءت في تضاعيفه .

(المسعودي .. – ٣٤٦هـ) (.. – ٩٥٧م)

علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود : مؤرخ ، رحالة بحاثة ، من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي فيها ، قال الذهبي : (عداده في أهل بغداد ، نزل مصر مدة ، وكان معتزلياً) . من تصانيفه : مروج الذهب وأخبار الزمان ومن أباده (الحدثان نحو ....)[1] .

أن العصر العباسي في هذا التاريخ الذي يبدأ من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ وينتهي في سنة ٣٣٦ هـ في خلافة المطيع لله ، يمثل جزء مهماً إذ يشتمل على ما يقرب من ثلث العصر العباسي الذي ينتهي في سنة

٦٥٦هـ . ولو تمادى العمر بالمسعودي كما قال لضمن تاريخه هذا حوادث وأخباراً وشعراً لعدد كبير ممن عاشوا في هذا العصر .

ولو وصلت إلينا كتبه التاريخية الأخرى التي ذكرها في غضون كتابه هذا لوصل إلينا شيء آخر غير قليل مما جرى في هذا العصر .

وكان المسعودي يشير في أكثر من موضع من التاريخ إلى أنه فصّل في أخبار بعض الشعراء الذين ذكرهم ، وأورد كثيراً من شعرهم في كتبه : أخبار الزمان ومزاهر الأخبار وطرائف الآثار ، وكتابه الأوسط ، وكلها مفقودة[٢] .

وهو في كتابه لم يسلك أسلوباً واحداً في معالجة الأمور أو ذكرها فقد يقتضب الحديث عن الشاعر والتمثيل بشعره ، أو قد يستطرد في ذلك . ويكثر من التمثيل بالمقطعات الشعرية بالقياس إلى القصائد وخاصة ذات البيتين . ويشير في أعقاب ما يختاره من القصيدة إلى كثرة ما قيل في الحادث كقوله : (وقد قالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فأكثرت . ورثته فأحسنت ، فمن ذلك قول بعض أهل العصر من قصيدة له)[٣] وقوله : (وقال فيه آخر من قصيدة طويلة)[٤] . (وقال آخر من قصيدة طويلة أيضاً)[٥] .

وقوله في حادثة عصيان أحدهم في عصر المعتمد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ... فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسين بن سعد القطربلي الكاتب في قصيدة طويلة أقتصرنا منها على ما نذكره وهو ...[٦] وقوله بعد أن ذكر خمسة أبيات في مقتل مروان بن محمد : (وقالت الشعراء في أمر مروان فأكثرت)[٧] .

وقد يتمثل في أحيان قليلة بقصيدة طويلة كقصيدة علي بن أبي طالب الشاعر الأعمى ، التي استغرقت (٣٧) بيتاً[٨] ، وقصيدة أبي المقاتل في الداعي العلوي فقد كانت من (٣٩) بيتاً[٩] .

وكان يشيد بأدب الشاعر وشعره على الرغم من أنه لم يتفق ومذهبه السياسي كموقفه من شعر علي بن الجهم وإطرائه .

كما كان دقيقاً في نسبة الشعر إلى قائله ، وهذا دليل على إتقانه ووثوق مصادره وعمق ثقافته ، غير أنه حين يشك في هذه النسبة أو لا يكون واثقاً منها يلجأ إلى القول : وقال بعض الشعراء أو قال الشاعر أو قال بعضهم ... وقد لا تترجح النسبة لديه فيذكر اسمين لقائله كقوله : قال أبو حزرة أو أبو نواس[١٠] وقد ينسب الشعر إلى بعض الشعراء ويعقبه باسم الشاعر كقوله (قال بعض الشعراء وهو أبو علي البصير)[١١] .

ومع دقته في نسبة الشعر فقد يقع في الوهم أحياناً قليلة كما في نسبة بيتين من الشعر لخالد الكاتب غنياً في مجلس الرشيد المتوفى سنة ١٩٣هـ فاستدعي الخليفة له[١٢] ، وأبيات أبي العنبس الصيمري التي أنشدها في مجلس المتوكل على أنها له وهي لبشار بن برد في ديوانه[١٣] .

ولم يقتصر المسعودي على التمثيل بشعر الرجال بل تجاوز ذلك إلى شعر النساء كزبيدة ، ولبابة أبنة علي بن المهدي ، ومحبوبة التي ترجم لها وتمثل بنماذج من شعرها وأم الشريف[١٤] .

وعلى الرغم من إن المسعودي كان يستشهد بالشعرٌ الخالي من الفحش والبذاءة فقد تمثل بشيء منه[١٥] . ومع أنه لم يكرر التمثيل بالشعر ومناسبة قوله ، فانه فعل هذا في موطن واحد من تاريخه . وذلك في خبر ساقه عن علي بن الجهم . وقد أشار إلى هذا التكرار وذكر المناسبة[١٦] .

وهو لم يذكر في عامة الأخبار التي ذكرها والشعر الذي تمثل به المصدر الذي أستقى منه ذلك ، ولكنه على ما يبدو أطلع على كتاب أبي بكر الصولي في أخبار أبي تمام بدليل إشارته إلى مؤلف الصولي هذا ، ونقله نصوصاً منه كما يبدو أنه لم يطلع على كتاب أخبار البحتري للصولي بدليل عدم إشارته إلى ذلك.

وفي المروج ذكر لمجالس الطرب والحب والفلسفة والطب والفلك وما تخلل ذلك من أشعار قيلت فيها[١٧] .

وفيه أيضاً أشعار كثيرة لشعراء العصر في أوصاف أنواع الأطعمة كوصف ابن المعتز لسلة كوامخ[١٨] وكشاجم في وصف سلة نوادر[١٩] ، ووصف هليون[٢٠] ، ووصف جوذابة[٢١] ، ووصف قطائف[٢٢] . وابن الرومي في وصف وسط[٢٣] ، وإسحاق الموصلي في وصف سنبوسج[٢٤] ، ومحمد بن الوزير المعروف بالحافظ الدمشقي في وصف ارزبه[٢٥] وأبي نواس في وصف باطرنجا[٢٦] ، ووصف بعض المتأخرين نمضيرة[٢٧] ، وبعض المحدثين في وصف جوذابة[٢٨] .

كما فيه شعر في وصف أحسن ما قيل في الفرس[٢٩] ، وأوصاف النرد التي ذكرها بقوله : (وقد قيل في لعبها ووصفها وإحكام الفصين فيها وقضائهما على لُعّابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها ، وأغرقوا في استيعاب معانيها ، من ذلك قول بعضهم)[٣٠] ، وقول كشاجم[٣١] وأبي نواس[٣٢] . كما فيه حديث عن الشطرنج وأهله وأدواته ، وما قيل فيها من أشعار كقول بعضهم[٣٣] ، وقول آخر وقد أحسن وبالغ في وصف اللعب بها[٣٤] ، وقول أبي الحسن بن أبي البغل الكاتب الذي بالغ في وصفها واستوعب النظر لأكثر معانيها ؛ لأنه ممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها[٣٥] .

وكان المسعودي واسع الثقافة الأدبية والإطلاع على أخبار الشعراء وشعرهم من ذلك روايته خبر تلاحي العتابي وراوية أبي نواس ، فقد روى عن الجاحظ قوله : (حدث يموت بن المزرع قال : حدثني (خالي)[٣٦] عمرو بن بحر الجاحظ قال :

كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس ، فقال له راوية أبي نواس يوماً :

كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول :

إذا نحن أثنينا عليـــك بصالـــحٍ　　فأنت الذي نُثني وفوق الذي نثنـــي
وأن جرت الألفاظ منّـــا بمدحـــةٍ　　لغيرك إنساناً فأنت الذي نعنـــــي

قال العتابي : هذا سرقه ، قال : ممن ؟ قال : من أبي الهذيل الجمحى قال حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول :

وإذا يقال لبعضهم نعم الفتـــــى　　فأبن المغيرة ذلك النعـــــم
عقم النســـاء فلا يجئـن بمثلـــه　　إن النســـاء بمثلـــــه عقـــم

قال : فقد أحسن في قوله :

فتمشت في مفاصلهـــــــم　　كتمشى البرء في السقـــــم

قال : سرقه أيضاً ، قال له : وممن ؟ قال من شوسة الفقعي ، قال حيث يقول ماذا ؟

قال : حيث يقول :

إذا ما سقيم حلّ عنها وكاءهـــا　　تصعّد فيه برؤهـــا وتصوّبـــــا
وإن خالطت منه الحشا خلت إنه　　على سالف الأيام لم يبق موصبـــا

قال : فقد أحسن في قوله :

وما خلقت إلاّ لبذل أكفهـــــم　　وأقدامهم إلاّ لأعواد منبـــــر[٣٧]

قال : قد سرقه أيضاً ، قال : ممن ؟ قال من مروان بن أبي حفصة . قال: حيث يقول ماذا ؟ قال حيث يقول :

وما خلقت إلاّ لبذل أكفهـــــم　　وألسنهم إلاّ لتحبير منطـــــق
فيوماً يباري الريـــاح سماحة　　ويوماً لبذل الخاطب المتشدق[٣٨]

قال : فسكت الراوية . ولو أتى بشعره كله لقال سرقه[٣٩]

وكان يروي في تاريخه من الأحاديث الأدبية ما يجب أن يتصف بـــه أدب الحديث من خصائص ، وتمثل بأحسن ما جاء به الشعراء في هذا الشأن ، فقال:

(ومن أدب الحديث وواجباته : أن لا يقتضب اقتضاباً ، ولا يهجم عليه ، وأن يتوصل إلى إجرائه بما يشاكله ، وأن يستنب له ما يحسن أن يجـري فـي عرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقاً ببعض ، على حسب مـا قـالوا فـي المثل: أنّ الحديث ذو شجون ، يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد إلى وجوه من المعاني كثيرة ؛ إذ كان العيش كله في الجلي الممتع ، وقال رجـل : والله ما أمل الحديث ، فقال السامع : إنما يمل العتيق لا الحديث .

وقد أكثر الشعراء من الإغراق في هذا المعنى ، ومن ذلك قول علي بـن العباس الرومي :

وسئمتُ كل مـــآربي　　فكأن أطيبهـــا غثيـــث
إلا الحديث فإنـــــه　　مثل اسمه أبـــداً حديـــث

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول إبراهيم بن العباس (الصولي) :

إن الزمان وما ترين بمفرقـــي　　صرف الغواية فانصرفتُ كريمـــا
وضجرت إلا من لقـــاء محدّث　　حـسن الحديث يزيدني تعليما(٤٠)

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الأدب أن من الأدب عدم إطالة الحـديث من النديم ، وإن أحلى الحديث وأحسنه موقعاً أن تجتنب منه الأحاديث الطـوال ذات المعاني المغلقة .

والألفاظ الحشوية التي ينقضي باقتصاصها زمان المجلس ، وتتعلق بهـا النفوس ، وتحتسى على أواخرها الكؤوس ، فإن ذلك بمجالس القُصّاص أشـبه منه بمجالس الخواص . وقد ذكر هذا المعنى فأجاد فيه عبد الله بن المعتز بـالله ووصف ذلك من أصحاب الشراب على المعاقرة ، فقال :

بين أقداحهم حديث قصير　　هو سحر وما عداه كلام
وكأن السقاة بين الندامى　　ألفات بين السطور قيام

وهذه طريقة من ذهب في هذا المعنى إلى استماع الملح[٤١] .

وكان المسعودي يبدي رأيه في نقد الشعر ، ويميز بين ضعيفه وقويه، والسبب الذي جعل الشعر أحياناً ذا قدر وأهمية . من ذلك تعليقه على قول أبي نواس في فتح الرشيد لحصن هرقلة :

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً　　جواثماً ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا من جنب قلعتهم　　مشعلات على أرسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى ، وعظمت لصاحبه الجائزة[٤٢] .

وفي المروج من الأخبار الأدبية الحوار المعقود بين المأمون وأبي دلف وهو حوار ينم عن إلمام الخليفة بشعر القائد العربي ، كما ينم عن فراسة أبي دلف ومعرفته بشعر المأمون الذي تمثل به على أنه لسواد ، ولطرافة هذا الحواري نرى إثباته في هذا الموضع من البحث . جاء :

(ودخل أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي على المأمون ، فقال له : يا قاسم ، ما أحسن أبياتك في صفة الحرب ، ولذاذتك بها ، وزهدك في المغنيات ؟ قال : يا أمير المؤمنين أي أبيات هي ؟ قال : قولك :

لسلّ السيوف وشقّ الصفوف　　ونفض التراب وضرب القُلُلْ

قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

ولبس العجاجة والخافقات　　تريك المنايا بروس الأسلْ
وقد كشفت عن شبا نابها　　عروس المنية بين الشعلْ
وجاءت تهدي وأبناؤها　　كأن عليهم شروق الطفلْ

خروس نطوق إذا استنطقت　　جهول يطيش على من جهل
إذا خبطت أخذت مهرها　　رؤوساً تساقط بين القلل
ألذ وأشهى من المسمعات　　وشرب المدامة في يوم طلّ
أنا ابن الحسام وترب الصفاح　　وريب الممنون ، وقرب الأجلْ

ثم قال : يا أمير المؤمنين هذه لذتي مع أعدائك ، وقوتي مع أوليائك ، ويدي معك . ولئن استلذ مستلذ شيئاً من المعاقرة ملت إلى المصادمة والمحاربة. قال : يا قاسم إذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة لذتك ، فماذا تركت للوسنان مما خلفت ، وأظهرت له من قليل ما سترت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وأي أشعاري ؟ قال : حيث تقول :

أيها الراقدُ المؤرّق عيني　　نمْ هنيئاً لك الرقاد اللذيذ
علم الله أن قلبي ممّا　　قد جنتْ مقلتاك فيه وقيذ

قال : يا أمير المؤمنين ، سهوة بعد سهرة غلبت ، وذلك قسم متقدم ، وهذا ظن متأخر . قال : يا قاسم ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين :

أذم لك الأيام في ذات بيننا　　وما لليالي في الذي بيننا عذْر
إذا لم يكن بين المحبين زورة　　سوى ذكر شيء قد مضى درس النكر

فقال أبو دلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين هذا السيد الهاشمي والملك العباسي ، قال : وكيف أدتك الفطنة ، ولم تداخلك الظنة ، حتى تحققت أني صاحبها ، ولم يداخلك الشك فيهما . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما الشعر بساط صوف ، فمن خلط الشعر ينقيّ الصوف ظهر رونقة عند التصنيف ، ونار ضوؤه عند التأليف[٤٣] .

وفي التاريخ حوار آخر بين أبي تمام وأعرابي حول الخليفة الواثق وأعوانه . وهو يتناول أجوبة الأعرابي عن أسئلة أبي تمام عن الخليفة وعدد من رجالات دولته . ويبدو أن المسعودي نقله من كتاب أخبار أبي تمام للصولي

الذي رواه أبو بكر عن أبن المعتز[٤٤] ، فقد أظهر هذا الحوار معرفة هذا الأعرابي الدقيقة بشخصيات الدولة وما كان يتحلى به كل واحد منهم من صفات، وقد ضمن غير واحد من المؤلفين هذا الخبر كتابه[٤٥] .

غير أن المسعودي لم يكتف برواية الخبر وإنما علق عليه بقوله :

وهذا الخبر فمخرجه عن أبي تمام ، فإن كان صادقاً فيما قال ، ولا أراه فقد أحسن الأعرابي في الوصف ، وإن كان أبو تمام هو الذي صنْعه وعزاه إلى هذا الأعرابي فقد قصر في نظمه ، إذ كانت منزلته أكبر من هذا[٤٦] .

وقد أشار المسعودي إلى أخبار أبي تمام بقوله : (وقد صنف أبو بكر الصولي كتاباً جمع فيه أخبار أبي تمام وشعره وتصرفه في أنواع علومه ومذاهبه ، وأستدل الصولي على ما وصف عن أبي تمام بما يوجد من شعره من ذلك قوله ...)[٤٧] .

وأشار المسعودي إلى ما ورد من زيادة في العروض على الخليل فقال : (وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض : من ذلك المديد ، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل . وفيه عروض رابع وضربان محدثان ، فالضرب الأول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر :

من نعين لا تنام　　دمعها سح سجام

والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر :

يا لبكر لا تنوا　　ليس ذا حين ونا

وغير ذلك مما تكلموا فيه ، وذكروه في هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في (أخبار الزمان)[٤٨] .

وفي المروج أخبار وأشعار تنبئ عن قرب وفاة خليفة كالخبر المتعلق بقرب وفاة المنصور الذي كان أحد العامة قد تنبأ بذلك في شعر كتبه على حائط

أحد المنازل الذي نزله وهو في سفر[٤٩] ، أو وفاة الرشيد الذي تنبأ به أبو العتاهية[٥٠] .

أو وقوع خلاف بين ولاة عهد الرشيد[٥١] ، كما فيه شعر تراءى لأصحابه في الأحلام منه ما ينبئ بقرب وفاة خليفة كالحلم الذي رآه المهدي[٥٢] أو بما ستكون عليه خلافة آخر كالحلم الذي رآه بعض الكتاب في خلافة المنتصر المتهم بالتآمر على قتل أبيه المتوكل[٥٣] .

أن المروج يشتمل فضلاً على ما تقدم على عدد من أخبار الشعراء العباسيين ، يكاد المسعودي يكون من المتقدمين أو الأوائل الذين ذكروا هذا ، ولا يستبعد أن يكون من تأخر عنه قد وقف على شيء ومن هذه الأخبار .

أن هذه الأخبار وما يتعلق بها من أمثلة شعرية ذات أهمية كبيرة لدى الباحثين والدارسين ؛ لأنها تكشف عن حالات شتى لأولئك الشعراء ، وسنحاول أن نستقطب تلك الأخبار ونشير إلى ما فيها من معلومات متسلسلة بحسب أجزاء وصفحات هذا الكتاب .

١ - أبو العتاهية :

أ - ذكر المسعودي أخباراً حول علاقة الشاعر بعتبة جارية الخيزران وما كان من حبه لها ، وتدخل المهدي في أمرهما والأشعار التي أنشدها إزاء المهدي الذي سأله عن بعض شعره وما أراد منه ، وانتهى الأمر بجلده وإكرامه .

ب- ما أهداه الشاعر إلى المهدي وكتبه على الهدية مشيراً فيه إلى حبه لعقبة ، حتى كاد المهدي أن يدفعها إليه ، لولا تنديد عتبة بأبي العتاهية وأنه بائع جرار يكتسب بالشعر .

ج- ما قاله المسعودي في شاعرية أبي العتاهية وشعره وهو دليل معرفته الدقيقة بخصائص هذا الشاعر وطاقته الشعرية واقتداره على وزن الكلام

قال : (وكان أبو العتاهية وهو إسماعيل بن القاسم بائع جرار ، وكان من أسهل الناس لفظاً وأقدرهم على وزن الكلام ، وكان حلو الألفاظ ، حتى أنه يتكلم بالشعر في جميع حالاته ، ويخاطب به جميع أصناف الناس ، قد جعله شعراً نثاراً) .

د - أختار المسعودي نماذج من مختار شعر أبي العتاهية وسنجتزئ بالبيت الأول من كل نموذج .

قال : ومن مختار شعره في عتبة :

بالله يا حلوة العينين زوريني　　قبل الممات وإلاّ فاستزيريني

ومن مختار شعره فيها قوله :

ألا يا عتب يا قمر الرصافه　　ويا ذات الملاحة والنظافه

ومما اخترناه من شعره وأستحسنه ذو الحجا قوله :

ما أغفل الناس عن بلائي　　وعن عنائي وعن شقائي

هـ- حكاية احتيال أبي العتاهية وتقربه من عتبة في زيّ متنسك وتقبيل يدها مما أشاط غضب عتبة وأثار استقباحها لعمله هذا .

ز - إنهاء ما ذكره المسعودي من أخبار الشاعر ومختار شعره بقوله :

(ولأبي العتاهية أشعار حسان سنذكرها في أخبار من يرد من الخلفاء، وسنذكر لمعاً من أخباره وما استحسناه من أشعاره وذكر وفاته ، ولو لم يكن لأبي العتاهية سوى هذه الأبيات التي أبان فيها عن صدق الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزاً على غيره ممن كان في عصره وهي :

إنّ أخاك الصدق من كان معك　　ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك　　شتت شمل نفسه كي يجمعك

وهذه الصفة في عصرنا معدومة ، ومستحيل وجودها ، ومتعذر كونها ، ومتعر رؤيتها[٥٤] .

لقد وعد المسعودي أن يذكر لمعاً من أخبار أبي العتاهية فيمن يرد من الخلفاء وما استحسنه من أشعاره وذكر وفاته . لقد ذكر شعراً له عند نقض العهد الذي كان بينه وبين الرشيد فقال : وسنكتفي بالبيت الأول من الأبيات الثمانية وهو قوله :

إمام الهدى أصبحت بالدين معنيا　　وأصبحت تسقى كل مستمطر ريّا[٥٥]

كما ذكر له أربعة أبيات يصف فيها ما لبسته جواري المهدي عند وفاته من الممسوح والسواد منها أولها :

رحن في الوشي وأصبحن عنيهن الممسوح[٥٦]

وعاد المسعودي إلى الحديث عن الشاعر وعتبة التي كان يحبها ، وفي هذه المرة كان الرشيد هو الوساطة لإقناع هذه الجارية بالرضا عن الشاعر والاقتران به . فذكر أن العتاهي أرسل إلى الرشيد ثلاث مراوح وكتب على كل واحدة منها بيتاً كان الثالث منها يشير إلى أنه كان متأكداً من نجاح هذه الوساطة. غير أن هذه الوساطة لم تنجح على الرغم من أن الخليفة بذل ما في وسعه في إقناع عتبة . وحين تأكد العتاهي من رفض عتبة له لبس الصوف وأنقطع إلى الزهد ، وقال في ذلك بيت شعر .

واستمر المسعودي في ذكر أخبار الشاعر مع هذه الجارية فقال شعراً لم يرضه الرشيد فأمر بحبسه وأودعه لدى صاحب عقوبته الذي كان فظاً غليظاً فقال الشاعر في هذا شعراً أيضاً . وذكر له بيتين مما قاله في الحبس . كما تمثل بعشرة نماذج له أيضاً أغلبها من بيتين ، وهي تعالج مشكلة واحدة هي ما سيؤول إليه الإنسان في عقبى حياته . ويظهر أنه قالها بعد أن يئس من

الحصول على عتبة ، وبعد انقطاعه إلى الزهد[٥٧] . كما تمثل له بأبيات وقعت في يد الرشيد فبكى مما جاء فيها منها قوله :

هل أنت معتبر بمن خليت　　منه غداد مضى دساكره[٥٨]

وعاد المسعودي إلى أبي العتاهية وشعره وأخباره ، ويبدو أنه كان مولعاً بكل ذلك ، فذكر سنة موته وهي سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأنه مات متنسكاً لابساً للصوف .

كما ذكر من أخباره مع الرشيد خبراً يشير فيه إلى حمله إليه ، على أن لا يكلم في طريقه ولا يعلم ما يراد منه ، فقال في ذلك بيتي شعر . وذكر أنه حج مع الرشيد وطلب منه أن يقول شعراً فقال ثلاثة أبيات يحقّر فيها ملذات الدنيا ويذكّر بالموت الذي ينتظر الإنسان .

وبعد أن أشار المسعودي إلى أنه ذكر من أخبار الشاعر وشعره فيما تقدم جملاً مما أختاره منهما رجع فقال : ومما يستحسنه من ذلك قوله :

أحمد قال لي ولم يدر ما بي　　أتحب الغداة عتبة حقا

كما ذكر أبياتاً أخرى له استحسنها وهي في عتبة أيضاً ، وأشار إلى أن من قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله :

أخلاي بي شجو وليس لكم شجو　　وكل امرئ من شجو صاحبه خلو

وأعقبها بقوله (ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله:

يا لهف نفسي على الذي اجتنبتْ　　بأي جرم ترونها عتبتْ

وجاء بعد الأبيات التي ذكر منها واحداً وصفه للشاعر فقال : (وكان أبو العتاهية قبيح الوجه ، مليح الحركات ، حلو الإنشاد ، شديد الطرب) ثم ذكر له مثالاً من شعره الذي قدم له بقوله : (ومن مليح شعره أيضاً قوله :

من لم يذق لصبابة طعمـــا　　فلقـد أحطـت بطعمهـا علمـــا

وأنهى المختارات من شعره بقوله : (وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله :

هم القاضي بيت يطـــرب　　قال القاضـــي لما عوتـــب
ما في الدنيـا إلاّ مذنـــب　　هذا عذر القاضـي وأقلـــب

وزنه : فعّلن فعّلنْ أربع مرات ، وقد قال قوم : أن العرب لم تقـل علـى وزن هذا شعراً ، ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين)[٥٩] .

وذكر المسعودي خبراً واحداً لأبي العتاهية مع المأمون الـذي اسـتدعاه فوجده مطرقاً متفكراً مهموماً ، فقال في ذلك كلاماً يشير فيه إلى حاجة الإنسان أحياناً إلى الوحدة ، فأيد العتاهي هذا وقال أن له في هذا بيتاً واحداً من الشـعر أنشده الخليفة ، وحين طلب منه الزيادة امتنع عن ذلك بحجة عدم الاقتدار[٦٠] .

٣ - العتابـــي :

ذكره المسعودي في عدة مواضع من كتابه منها الموضع الذي عرّف به ووصفه فقال : (وكان العتابي من أرض قنسرين والعواصـم ، وسـكن الرقـة من ديار مضر ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسـل وحسـن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصـاحة اللسـان وبراعـة البيـان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ (في نسخة : وجودة الخط) ، وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره[٦١]، وأعقب هذا الوصف بنماذج من كلامه حول الكاتب والحاجب المرشـحين لهـذا المنصب وما ينبغي أن يتحليا به من صفات ، ونظم في ذلك بيتين من الشعر .

وتقدم تلاحي العتابي مع راوية أبي نواس في شعر الأخير وكيف ردّ مـا كان يتمثّل به الراوية من شعر النواسي إلى شعراء آخرين سرق منهم ما جـاء به من شعر[٦٢] .

وذكر المسعودي حكاية اجتماع العتابي في مجلس المأمون وما جرى له مع إسحاق الموصلي من حديث حول أسمي كليهما ، الأمر الذي كان مدعاة إلى تقاربهما من بعضهما ومنادمة بعضهما لبعض[٦٣] . كما ذكر له شعراً كان يردده عبد الواحد بن الموثق الذي أتهم بالتآمر على المكتفى وهو برئ منه[٦٤] .

٣ - أبن أبي نعيم :

وهو أحمد بن أبي نعيم[٦٥] أحد الشعراء الذين هجوا القاضي يحيى بن أكثم واتهمه بالفحش ، وقال فيه ، رجزاً وقريضاً ، وهجا في الثانية إلى جانب ابن أكثم بني العباس وحين قرب يحيى من المأمون وأصبح قاضيه ونديمه سأله عن قائل بيت فيه إشارة إلى اتهامه بالفحش فأجابه أنه أبن أبي نعيم وأتم البيت بأبيات أخرى للشاعر في هجاء آل عباس ، فأمر المأمون بنفيه إلى السند[٦٥].

٤ - راشد بن اسحاق :

جاء ذكره عند حديث المسعودي عن اتهام القاضي يحيى بن أكثم بالفحش، فقد ذكر أن المأمون (أمر القاضي أن يفرض لنفسه فرضاً يركبون بركوبه ، ويتصرفون في أموره ففرض أربعمائة غلام مرداً اختارهم لنفسه حسان الوجوه، فأفتضح بهم ، وقال في ذلك ..) كما ذكر له نصاً آخر فيه[٦٦] . وعلى الرغم من الحكايات والأشعار التي قيلت في القاضي فيبدو أنها غير صحيحة وأن القاضي لم يكن كذلك[٦٧] .

٥ - أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ :

ذكره في أعقاب حديثه عن الزيادة في العروض على الخليل بن أحمد، فقال : (وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الكاتب الأنباري على الخليل بن أحمد في ذلك كتاباً ذكر فيه أنواعاً من هذا المعنى مما خرج فيه الخليل بن أحمد عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل . كان ذلك له لازماً ، ولما أورده كاسراً وللناشئ أشعار كثيرة حسان : منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة

يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والدول ، وأشعار كثيرة ومصنفات واسعة في أنواع من العلوم ، فمما جوّد فيه قوله حين سار من العراق إلى مصر ، وبها كانت وفاته ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره).

ومما أثبته له المسعودي في مروجه قوله من أبيات :

يا ديار الأحبـــاب هل من مجيـــــب　　عنك يشفى غليل نائي المزار[٦٨]

٦ - أبو دلف العجلي :

ذكره المسعودي في مواضع مختلفة من كتابه ، وتقدم ذكر الحوار بين المأمون وبين أبي دلف حول شعر الثاني وفراسته في معرفة شعر المأمون .

كما ذكره في موضع آخر تحدث فيه عن الرجل ومنزلته بين عشيرته وما كان يتحلى به من صفات الشجاعة والبطولة والشعر والغناء ، وتمثل بيتين من شعره يصف فيهما حالتيه في الحرب والسلم . قال :

(وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، وكان سيد أهله ، ورئيس عشيرته ، من عجل وغيرها من ربيعة . وكان شاعراً مجيداً وشاعراً بطلاً ، مغنياً مصيباً) وذكر من أخباره الحكاية التي تقول أنه طعن فارساً كان معه رديف فنفذت الطعنة إلى الثاني وتمثل بيتي بكر بن النطاح في ذلك .

كما ذكر حكاية مذهب ابن أبي دلف المخالف لمذهب أبيه وما ترتب عليه من ادعاء أبي دلف بأن ابنه كان لغير رشدة .

كما ذكر حكاية حلم ابنه هذا ، وما ترتب عليه من أنه رأى والده يعذّب في الآخرة وتمثل بيتين لأبي دلف يشيران إلى هذا[٦٩] .

وذكر المسعودي أمر أبي دلف الذي كان يشتو في العراق ويصيف في الجبال[٧٠] .

٧ - أبو تمام:

تحدث المسعودي عن أبي تمام وشعره وموازنته بالبحتري أكثر من حديثه عن أي شاعر ما عدا أبا العتاهية ، ويبدو أنه نظر - كما تقدم - في كتاب أخبار أبي تمام للصولي الذي ذكره ونقل منه أكثر ما تحدث به عنه مع زيادات أحياناً سواء كانت في الأخبار أو الأشعار التي تمثل بها ولم ترد في كتاب الصولي . فقد ذكر أن وفاته بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين[٧١] ، ووصفه بأنه كان : (خليعاً ماجناً في بعض أحواله ، وربما أداه ذلك إلى ترك موجبات فرضه تماجناً لا اعتقاداً) . وتمثل له على هذا بتخففه من الصلاة حين صار إلى الحسن بن رجاء ، ثم ذكر موقف الناس من شعر أبي تمام وأنهم في طرفي تقيض ، فمنهم من هو متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ويرى أن شعره فوق كل شعر ، أو منحرف له معاند ، فهو ينفي منه حسنه ويعيب مختاره ..

وذكر حضور المبرد أحد المجالس الأدبية ، وأنشد أحدهم معاتبة لأبي تمام أحسن فيها وأراد المبرد أن يكتبها ولكنه خجل لأجل صاحب المجلس ، ثم وجد من يحفظها فأخذ يرددها على المبرد حتى حفظها .

وسأل بعضهم المبرد عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر ؟ فأجاب أن لكل منهما محاسنه ومساوئه ، ثم قال عن شعر أبي تمام (فوجدت ما يتمثل به ويجري على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتاً ، ولا أعرف شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ، ثم قال المبرد : وبالبحتري يختتم الشعر) .

واستطرد المسعودي فتمثل بنماذج للبحتري ورد قسم منها في كتاب أخبار البحتري للصولي ولم يرد القسم الآخر ، أو ورد ولكن برواية أخرى ، أو بعدد أقل مما ورد في كتاب الصولي ، وهو أمر يدعو إلى الغرابة ، فهل أن المسعودي نقل من كتاب الصولي وأن كتاب الصولي الذي لفق أخباره من هنا وهناك محققة كان أوسع مما جاء ووصل إلينا .

لقد تمثل المسعودي بأحد عشر نموذجاً من شعر البحتري كلها على هيئة مقطعات ، ورجع مستأنفاً حديثه عن شعر أبي تمام الذي تمثل بسبعة أمثلة منه للرد على تعصب أبن المدبر عليه والنيل منه ، كما تمثل بأرجوزة أعجب بها ابن الأعرابي لميله إلى القديم وطلب كتابتها فلما علم أنها لأبي تمام خرّق ما كتبه . وذكر ردّ النقاد على ابن المدبر وأبن الأعرابي لتعصبهما غير العلمي على شعر الرجل . ثم ذكر بعض خصائص شعر أبي تمام فقال : (ولأبي تمام أشعار حسان، ومعان لطاف واستخراجات بديعة) ، وتمثل بقول أحد العلماء بالشعر وقد سئل عن الشاعر فقال : (كأن جمع شعر العالم فأنتخب جوهره) .

وأنهى حديثه عن الشاعر بقصيدتي رثاء للحسن بن وهب فيه ، مطلع الأولى :

سقى بالموصل الحدث الغريبا　　سحائب ينتحبن له نحيبا

ومطلع الثانية :

أبت مقلتاك لفرط الحزن　　عليك الرقادَ وبرد الوسن[٧٢]

وذكر المسعودي بيتاً لأبي تمام من قصيدة عمورية تمثل به المعتصم حين رغّبه المازيار في أموال كثيرة أن هو أبقى عليه بعد أسره ، كما تمثل بأبيات من قصيدة له في مدح المعتصم ووصف ما آلت إليه خشبة مازيار التي مالت إلى خشبة بابك عند صلبهما[٧٣] .

٨ - محمد بن عبد الملك الزيات :

تحدث المسعودي عن التنور الذي أتخذه أبن الزيات لتعذيب المصادرين والمغضوب عليهم وحين استخلف المتوكل وكان ساخطاً عليه لأمور حدثت بينهما في خلافة الواثق أمر بإدخاله في ذلك التنور وبقي فيه إلى أن مات وذكر شعراً يشير فيه إلى أن الحياة لا تبقى على حالة واحدة . ثم وصفه بقوله : (وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً)[٧٤] . وتمثل له بأبيات من قصيدة طويلة له في

تحريض المأمون على إبراهيم في المهدي عمه حين خرج عليه ، كما تمثل له بأبيات في رثاء المعتصم . وأشار إلى أنه أتى على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الأوسط . وتمثل له بنص في ذكر شهور السريانيين[٧٥] . وأشار المسعودي أيضاً إلى أبن الزيات عند حديثه عن خلافة المعتصم وقتل المتوكل له لشيء كان عليه في نفسه كما تقدم ، وذكر كذلك أنه سيذكر شيئاً من أخباره عند كلامه على خلافة المتوكل وأن كان قد أتى على ذلك ملخصاً في الكتاب الأوسط[٧٦] .

٩ - ابراهيم الصولي :

(وفيها مات إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب ، وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً . لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه ، وكان يكتسب في حداثته بشعره ورحل إلى الملوك والأمراء ومدحهم طلباً لجدواهم[٧٧].

وذكر خبر اجتيازه أحد ولاة الصيمرة والسيروان قاصداً خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا ، وقد امتدحه إبراهيم بشعر يذكر فيه فضل آل علي وانهم أحق بالخلافة من غيرهم ، فاستحسن هذا الوالي الشعر وسأل إبراهيم أن ينسخه له ففعل ، وأتفق بعد ذلك أن ولى إبراهيم ديوان الضياع فأمر بمحاسبة ذلك الوالي وشدد عليه وأسمعه كلاماً مقذعاً ، فذكّر الوالي إبراهيم بالقصيدة التي يعلن فيها الرفض وأنها ما زالت عنده ، وطلب منه أن يعفيه من المطالبة وإلا أخبر الخليفة المتوكل بذلك ، فسقط في يد إبراهيم وأعفى الوالي من مطالبته بشيء .

وذكر المسعودي أن لإبراهيم مكاتبات قد دونت وفصولاً حساناً من كلامه قد جمعت وأنه أتى على كثير منها في الكتاب الأوسط . كما ذكر نموذجاً من فصوله قال عنه : فمما استحسن من فصوله وإن كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه ... وقال أيضاً : وله أشعار حسان ، فمما استحسن من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة من أهل الأدب أحد من زمانه قوله :

لنا إبل كوم يضيـــق بها الفضـــا　　ويفترُّ عنهـــا أرضها وسماؤهـــا

(الأبيات) :

وبعد أن تمثل له بأربعة نماذج من شعره قال : ومما يجب على الرؤوساء أن يحفظوه قوله : .. وقال أيضاً (ومما أحسن فيه وبرّز عن نظرائه قوله) ثـم أعقب ذلك بثلاثة نماذج من شعره . وأنهى الحديث عن الصولي يقول لـه فـي أصحاب السلطان . وأنه كان يدعى خؤولة العباس بن الأحنف الشاعر[٧٨] .

١٠ - العبـاس بن الأحنـف :

تحدث المسعودي بشيء قليل عن أبن الأحنف واستعان بوصف إبـراهيم الصولي لشعر أنشده بعضهم للعباس قال : (هذا والله الشعر الحسن المعنـى ، السهل اللفظ العذب المستمع ، القليل النظير ، ما سمعت كلاماً أجزل منه في رقة ولا أسهل في صعوبة ، ولا أبلغ في أنصاف من هذا ، فقال من أنشده : كلامـك والله أحسن من شعره) وتمثل له بثلاثة نماذج مما استحسن من شعر العبـاس وأنهى الحديث عنه برواية وفاته التي لا تخلو من الطابع القصصـي وضـمنها أبياتاً[٧٩] من شعره ، وتمثل المسعودي ببيتين مـن شـعر العبـاس بمناسـبة معينة[٨٠] .

١١ - علي بن الجهـم :

تحدث المسعودي عن أبن الجهم وشعره في مواطن شتى مـن كتابـه ، ومما قاله فيه (وفي سنة أثنتين وثلاثين ومائتين نفي المتوكل علي بن الجهـم الشاعر إلى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين)[٨١] . وذكر أنه أتـى على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك إلى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين ، فلما صار بالقرب من حلب لقيتـه خيـل الكلبيين فقتلته فقال في ذلك وهو يحتضر ... ثم قال في شـاعريته وشـعره : (وكان علي بن الجهم السامي هذا ... مطبوعاً مقتدراً علـى الشـعر ، عـذب

الألفاظ، غزير الكلام) . وذكر مقطوعتين من الشعر لعلي بن محمد بن جعفر العلوي في الطعن بنسب أبن الجهم ، كما ذكر جواب أبن الجهم للعلوي وأن نفسه تأبى الدنية ، وأن الأشراف لا تعتدى على الأشراف . وقال المسعودي فيه أيضاً : (وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه إلى معناه أحد وهو ... كما قال.. ومما أحسن فيه قوله .. ومما اختير من قوله .. ومن جيد شعره .. ومما اعتذر فيه فأحسن قوله في المتوكل .. ومما جوّد فيه قوله لما قيد .. وقال .. وله أشعار نادرة ، وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك على غيره .

وذكر المسعودي أبن الجهم فيمن رثى المتوكل من الشعراء في قوله من قصيدة .. كما ذكر شيئاً من سيرته وعلاقته بالمتوكل وقر به منه[٨٢] . وذكر بيتين من قصيدته في بدء الخلق والذر[٨٣] .

١٣ - محبوبة :

ذكر المسعودي شيئاً من أخبار هذه الشاعرة التي كانت إحدى جواري المتوكل فقد أشار إلى أنها كانت من جملة مائتي وصيفة ووصيف أهديت إلى الخليفة، وأنها كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم ، وكانت تقول الشعر وتلحنه وتغني به على العود ، وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس ، فحسن موقعها من المتوكل ، وذكر أن المتوكل طلب منها ومن أبن الجهم وكانا مجتمعين أن يقولا شعراً في جارية كتبت في خدها جعفراً، فأرتج على أبن الجهم في حين اندفعت محبوبة تقول ... كما ذكر خبر مغاضبة المتوكل لهذه الشاعرة وتضايقه من هذه المغاضبة فنصح له ابن الجهم بإرضائها فلما ذهب إلى مقصورتها وجدها تغني بشعر يدور حول ما هي عليه من شكوى ووحدانية .. فرضي عنها . وأشار أيضاً إلى وفاء هذه الجارية لولى أمرها إذ أنها رفضت أن تغني بعد مقتله فلما أجبرت على ذلك غنت غناء مرتجلاً بشعر

لها تتحسر فيه على المتوكل وما حصل له من مداهمة عدوه له .. الأمر الـذي جعل من كانت في حوزته يغضب عليها ويأمر بسجنها[٨٤] .

١٣ - يعقـوب التمّـار :

ذكر له اثني عشر بيتاً ساخراً في وصف رجل في عهد المنتصر تـزوج امرأة طاعنة في السن كان يحبها في صباه وصباها ، وكان قد ذكرها في أحـد مجالس المنتصر الذي دار فيه حديث عن الحب والعشق ، فأمر المنتصر من باب المزح (فأحضر جوزاً مرصصاً وفركاً مخلقاً فنثره على الرجل)[٨٥] .

١٤ - سعيـد بـن حميـد :

قال المسعودي : (وكان سعيد حافظاً لما يستحسن من الأخبار ، ويستجاد من الأشعار ، متصرفاً في فنون العلم ، ممتعاً إذا حدّث ، مفيداً إذا جولس ، وله أشعار كثيرة حسان فمما يستحسن ويختار من شعره قوله .. وقوله .. وقوله .. وقوله .. وقوله .. وأشار إلى أن ابن حميد كان يتنصـب ، ويظهـر التسـنن والتخيل .. وقال في ذلك بعض الشعراء .. وهجاه أبو علي البصير حين كان ابن حميد رئيس ديوان الإنشاء .. وأنهى المسعودي كلامه عنه بقوله : (وكان لسعيد بن حميد وأبي علي البصير وأبي العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات ، وقد أتينا على ذكرها في الكتاب الأوسط)[٨٦] .

١٥ - أبو علي البصير :

ذكره المسعودي في عدة مواطن من كتابه فمما قاله فيه :

(وكان أبو علي .. وكان ابن ميادة[٨٧] بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير .. فمن مشهور قوله في المعلى بن أيوب .. ومما استحسن له من شعره قوله .. مما استحسن من قوله وهو يريد الحج ...[٨٨] . وحين عقد المسـتعين في سنة تسع وأربعين ومائتين لأبنه العباس علـى مكـة والمدينـة والبصـرة والكوفة. طلب إلى البصير أن يقول في ذلك شعراً يشير فيه بالبيعـة لـه[٨٩] .

وذكر المسعودي أن البصير قال في المعتز ورجوع الأمر إليه واتفاق الكلمة عليه أبياتاً[٩٠] .

١٦ - علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني :

تحدث المسعودي عن الحماني في مواضع من الكتاب ، فذكر أنه أخو إسماعيل العلوي لأمه وأنه لما دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة قعد الحماني عن سلامه ولم يمض إليه ... وكان الحماني نقيب الطالبين فاستدعاه الحسن وسأل عن تأخره عن سلامه فقال في ذلك شعراً .. وحبسه الموفق لأمر شنع به عليه من أنه يريد الظهور ، فكتب إليه من الحبس شعراً يشير فيه إلى رعاية جد الموفق للطالبين فخلى سبيله .. وأشار كذلك أن للحماني أشعاراً ومراثي في أخيه إسماعيل وغيره من أهله وفي ذم الشيب وذكر أمثلة منها[٩١] . كما ذكر أن لقبه الحماني جاء من كونه ينزل بالكوفة في حمان فأضيف إليهم[٩٢] . وأشار إلى هجائه علي بن الجهم الذي أتهم بتعصبه[٩٣] . وقال أن وفاته كانت في خلافة المعتمد في سنة ستين ومائتين[٩٤] .

١٧ - مانى الموسوس :

ذكر المسعودي خبراً مطولاً له عند اجتماعه في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر ومنادمته له ولوزيره ابن طالوت ، وذكر ما جرى في ذلك المجلس من كلام نثري وشعري له ولمحمد وابن طالوت ، وكيف كان حاضر الجواب ، سريع البديهة في ارتجال الشعر أو التعليق عليه ، مما جعل ابن طاهر يعجب من ذلك ويأمر بإكرامه الذي استمر إلى وفاته[٩٥] .

١٨ - يموت بن المزرع وأبنه مهلهل :

ذكر المسعودي أخباراً ليموت عن خاله الجاحظ ، في حالة مرضه وما كان يعانيه من أسقام وعبء الدين ، وطعن في السن ، من ذلك أنه كان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده .. كما ذكر خبراً لخاله رأى فيه رجلاً

بالبصرة كثير التنقل والإحسان فسأله عن ذلك فأجاب أنه يعشق الإحسان والتفضل على المحتاجين .

وتحدث عن يموت فقال أنه لا يعود مريضاً خشية التطير باسمه ثم قال : وله أخبار حسان وأشعار جياد ، وأنه كان سكن طبرية من بلاد الأردن من الشام وبها مات وذلك بعد الثلاثمائة ، وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل.

وأشار إلى أن له ولداً يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وفيه يقول أبود يموت من أبيات أولها :

مهلهل قد حلبت شطور دهر　　فكافحني بها الزمن العنوت[٩٦]

١٩ - أبن الرومي :

ذكر المسعودي أخباراً عدة عن أبن الرومي ومقطعات من شعره ووفاته ، فأشار إلى أن الذي قتله على ما قيل بأمر القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي ، وكان منشؤه ووفاته ببغداد ، ثم ذكر شاعريته وشعره فقال :

(وكان من مختلقي معاني الشعر والمجودين في القصير والطويل ، متصرفاً في المذهب تصرفاً حسناً ، وكان أقل أدواته الشعر) ، وتمثل بمختارات من نماذجه الشعرية ، وكان يقوم لها بما تنطوي عليه من جودة وإحسان وابتداع كقوله : ومن محكم شعره وجيده قوله .. أو ومن قوله العجيب الذي ذهب إلى معاني فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قو . في القصيدة التي قالها في صاعد بن مخلد .. وقوله : ومما دقّ فيه فأحسن وذهب إلى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذّاق المتقدمين قوله .. وقوله : ومما أجاد فيه في وصف القناعة قوله .. وقوله في العنب الزازقي ..

وذكر أيضاً أن له أخباراً حساناً مع القاسم بن عبيد الله الوزير وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي ، وأبي إسحاق الزجاج النحوي ، ثم

ذكر شيئاً من أوصافه قال : وكان الأغلب عليه من الأخلاط السوداء ، وكان شرهاً نهماً ، وله أخبار تدل على ما ذكر من هذه الجمل مع أبي السهل إسماعيل بن علي النوبختي وغيره من آل نوبخت[٩٧] .

ومن الجدير بالذكر أن الأخبار عن أبن الرومي وشعره في المؤلفات القديمة كان شحيحاً جداً ، ولعل المسعودي يعدّ أكثر المؤلفين القدامى حديثاً عن الرجل وشعره وشاعريته وشيء مما كان يتصف به .

٣٠ - عبد الله بن المعتز :

وصف المسعودي ابن المعتز بأنه كان : أديباً بليغاً ، شاعراً مطبوعاً ، مجوداً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع للمعاني فمن ذلك قوله . وتمثل له بأربعة عشر نموذجاً كلها على هيئة مقطعات[٩٨] .

٣١ - محمد بن داود الأصفهاني :

تحدث عن الأصفهاني فقال أنه توفي سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم أطراه وأثنى على علمه وتفننه فيه ، فمما قاله فيه : (وكان ممن قد علا في رتبة الأدب ، وتصرف في بحار اللغة ، وتفنن في موارد المذاهب ... وكان عالماً بالفقه منفرداً وذكر مجموعة من مؤلفاته مثل الزهرة الذي ضمنه شيئاً غير قليل من شعره عزاه إلى بعض أهل عصره وتمثل له بثلاثة أمثلة[٩٩] .

٣٢ - ابن بسام :

تحدث المسعودي طويلاً عن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام المعروف بابن بسام بل لعل حديثه عنه وعن شعره كان من أطول ما جاء في كتابه عن شاعر وأن كان حديثه عن أبي العتاهية وأبي تمام كان طويلاً أيضاً كما تقدم فقد ذكر أن وفاته كانت في سنة ثلاث وثلاثمائة في خلافة المقتدر بالله ، وأنه كان شاعراً لسناً مطبوعاً في الهجاء ، ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا

صغير ولا كبير ، وأنه هجا أباه وأخوته وسائر أهل بيته . وتمثل لـه بسـبعة وعشرين إنموذجاً من شعره في هجاء أبيه ، ومن شعره قصيدة جمع فيها جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر كالموفق والوزير أبي الصقر إسـماعيل بـن بلبل، والطائي أمير بغداد ، وعبدون النصراني أخي صاعد ، وأبي العباس بـن بسطام، وحامد بن العباس وزير المقتدر ، وإسحاق بن عمران أمير الكوفة . كما هجا الخليفة المعتضد والوزير العباس بن الحسن وأبن عمرويه الخراساني وكان أمير بغداد يومئذ ، وعبيد الله بن سليمان الوزير وابنه القاسم بن عبيد الله ، كما هجا: أبا جعفر محمد بن جعفر الغربلي وجحظة البرمكي وأسد بن جهور الـذي شمل معه الكتاب في عصره .

وتحدث المسعودي عن والد الشاعر الذي كان سرياً موسراً كريماً وأنـه كان من ذوي البذخ والرفاه في المطعم والملبس والمجلس ، وجاء بذلك للتدليل على أن هجاء الشاعر لوالده واتهامه بالبخل والحرص على الأموال والطعام لم يكن حقيقة ولا واقعاً[١٠٠] .

٢٣ - أبـن دريـد :

ذكر المسعودي أنه توفي في خلافة القاهر بالله وهي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد ، وقال عنه : وكان ممن برع في زماننا هـذا فـي الشـعر ، وانتهى في اللغة ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكـان يذهب في الشعر كل مذهب فطوراً يجزل وطوراً يرق ، وشـعره أكثـر مـن أن نحصيه أو يأتي عليه كتابنا هذا ، ثم ذكر أن من جيد شعره مقصورته التي يقال أنه أحاط فيها بأكثر المقصور ، وأولها :

أما ترى رأسي حاكـى لونـه　　طرة صبح تحت أذيال الدجـى

وأشار إلى من عارضه في مقصورته هذه ، منهم أبو القاسم علـي بـن محمد بن داود بن فهم التنوخي الأنطاكي . ثم أشار إلـى أن مـن سـبق إلـى

المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصير الحنواني .. كما ذكر أن لأبن ورقاء في المقصورة أيضاً[١٠١] .

٣٤ – المفجّع :

ذكر أن من تأخر موته بعد موت ابن دريد الشاعر العماني أبو عبد الله المفجع ، وقال عنه : وكان شاعراً بصيراً بالغريب ، وهو صاحب الباهلي المصري الذي كان يناقض أبن دريد ، ثم قال ، فمما جوّد فيه المفجع قوله..[١٠٢].

٣٥ – الخليفة الراضي :

تحدث عنه المسعودي فقال : (وكان الراضي أديباً شاعراً ظريفاً ، وله أشعار حسان في معان مختلفة ، إن لم يكن ضاهي بها ابن المعتز فما نقص عنه، فمن ذلك قوله في وصف حاله وحال معشوقه إذا التقيا ...) .

وأشار إلى أن أبا بكر الصولي كان يروي الكثير من أشعاره ، ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتباطه بالعلم وفنون الأدب وإشرافه على علوم المتقدمين ، وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين[١٠٣] .

وذكر مجموعة من الأخبار التي تدل على كرمه ولين طبعه وحسن مجالسته [١٠٤] .

٣٦ – أبو القاسم الخبز أرزي :

هو من أشهر شعرد في وقت الخليفة المتقي قال في ذلك المسعودي فمنهم أبو القاسم نصر بن أحمد الخبز أرزي وهو أحد المطبوعين المجودين في البديهة المعروفين بالغزل وتمثل له بثلاثة نماذج قال في بعضها : فمن جيد شعره قوله ... وقال في الأخرى : ومن جيد شعره ما عاتب به أبن لتكك الشاعر وهو .. ثم أنهى الحديث عنه بقوله : وشعره في الغزل وغيره أكثر من أن نأتي عليه ، وأكثر غناء المحدث في وقتنا هذا من شعره ، وقد أشيع بموته وأن

البريدي غرّقه لأنه كان هجاء ، وقيل : بل هرب من البصرة ولحق بهجر والإحساء بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين[١٠٥] .

أن ما تقدم من الحديث عن الشر والشعراء وأخبارهم في الفترة التي انتهى إليها المسعودي ذو أهمية كبيرة ، وذلك لما في هذا الكتاب من شعر كثير لشعراء كثيرين ولما فيه من زيادات اعتمدت عليه بعض الدواوين المطبوعة أو أخل بعضها بما جاء فيه من نصوص شعرية أو لما احتواه من روايات مخالفة الراويات الدواوين ، ولهذا كله ولغيره فإنه لا معدى لباحث أو دارس الشعر العباسي من التزود منه في إثراء معلوماته التي يكاد بعضها يكون بكراً من الرجوع إلى تاريخ المسعودي هذا . فهو مصدر مهم موثق لما ينبغي أن يعتمده الباحثون في بحوثهم ، والدارسون في تقاريرهم ومقالاتهم . وهذا أكبر دليل وأعظم برهان على قيمة كتب التاريخ الأدبية وعلى سعة إطلاع أصحابها ، وعمق ثقافتهم واتساع مداركهم وسلامة اختياراتهم ، التي تنبئ عن ذوق دقيق واقتدار موفق ، وطاقات لا حدود لها في مجالات المعرفة هذا إلى بلاغة الأسلوب ومتانته وسلامته من كل ما تؤاخذ به الأساليب الركيكة والهزيلة .

ولو تيسر وصول مؤلفات الرجل التي كثيراً ما أشار إليها في غضون كتابه لوصل إلينا علم كثير وأدب غزير ، ومن يدري فلعل الأيام القابلة تحمل في أرحامها ما نتمناه من ولادة لشيء من هذه المؤلفات النافعة لزواد العلم وطلاب الأدب ، وأن غداً لناظره قريب .

الهوامش :

١. ٨٧/٥ .
٢. مروج الذهب ٦٧/٤ .
٣. أنظر : نفسه ٩٣/٤ .
٤. أنظر : نفسه .
٥. أنظر : نفسه .
٦. أنظر : نفسه ١٢١/٤.
٧. أنظر : نفسه ٢٥٧/٣ .
٨. أنظر : نفسه : ٤٠١/٣-٤٠٢ وأنظر : الجدول الذي نجيناه لضيق مجال المجلة .
٩. أنظر : نفسه : ٢٥١/٤-٢٥٢ وأنظر : الجدول .
١٠. أنظر : نفسه : ٣٨٢/٣ ، والبيتان في ديوان أبي نواس ٥٨٢ .
١١. أنظر : نفسه : ٦٢/٤ ، ٨٣ وفيه (وفي ذلك يقول رجل من سامرا وقيل: البحتري) والأبيات في ديوان البحتري عن المروج ، ص٢٦٠٦ .
١٢. أنظر : المروج : ٣٦٩/٣ وأنظر : ديوان خالد الكاتب : ٣٠-٣٣ حول ولادة الشاعر .
١٣. أنظر : المروج : ١٠/٤ وهي في ديوان بشار ٢١٤/٤ عن الأغاني .
١٤. أنظر : الجدول .
١٥. أنظر : المروج : ٦٢/٤ .
١٦. نفسه : ٢٩/٤ .
١٧. نفسه : ٣٧٠/٣-٣٧٥ ، ٤٨٩-٤٩٥ .
١٨. نفسه : ٢٦٨/٤ (عن المروج) .
١٩. نفسه : ٢٦٨/٤ .
٢٠. نفسه : ٢٧١/٤ ديوان كشاجم ٤٦٣ عن المروج .

٢١. نفسه : ٤/٢٧٣ (عن المروج) .

٢٢. أنظر : المروج : ٤/٢٧٤ .

٢٣. نفسه : ٤ : ٢٦٩ .

٢٤. نفسه : ٤/٢٧٠ وهي أرجوزة من (١٥) بيتاً أخل بها ديوانه .
السنبوسبق : فطائر تعمل من رقائق العجين المعجون بالسمن . وتحشى بقطع اللحم والجوز.
باطرنجى : بضم الطاء والراء وسكون النون وجيم والقصر : قرية قرب القفص من نواحي بغداد ، فالوصف ليس للطعام وإنما لما في هذه القرية من رياض وزهور . أخل بها ديوانه .

٢٥. نفسه : ٤/٢٧٢ .

٢٦. نفسه : ٤/٢٧٥ .

٢٧. نفسه : ٤/٢٧٢ .

٢٨. نفسه : ٤/٢٧٤ .

٢٩. نفسه : ٤/٢٥٤ .

٣٠. نفسه : ٤/٢٣٥ .

٣١. نفسه : ٤/٢٣٦ .

٣٢. نفسه : ولم يرد في ديوان أبي نواس .

٣٣. نفسه : ٤/٢٣٤ .

٣٤. نفسه : ٤/٢٣٤ .

٣٥. نفسه : ٤/٢٣٥ .

٣٦. في الأصل (خالد عن) ولعل الأصل ما أثبتناه .

٣٧. هذا البيت لم يرد في ديوان أبي نواس .

٣٨. البيتان في كتاب (مروان بن أبي حفصة وشعره) ٢٤٩ عن المروج .

٣٩. المروج : ٣/٣٥٥-٣٥٦ .

٤٠. البيتان لم يردا في ديوانه ولا ذيله .

٤١. المروج : ٣/٢٦٩-٢٧٠ .

٤٢. نفسه : ١/٣٧١ بيتا أبي نواس لم يردا في ديوانه .

٤٣. المروج : ٣/٤١٨-٤١٩ ، وأنظر : شعراء عباسيون القسم الثاني عن المروج .

٤٤. أنظر : الخبر في أخبار أبي تمام ، ٨٩-٩٣ .

٤٥. المروج : ٣/٤٧٨-٤٨٠ ، وأنظر : أخبار أبي تمام ٨٩ الحاشية (١).

٤٦. المروج : ٣/٤٨٠ .

٤٧. نفسه : ٣/٤٨٦ .

٤٨. نفسه : ٣/٤٥٢-٤٥٣ لم يذكر هذه الزيادة صاحب كتاب تحفة الخليل عند حديثه عن البحر المديد .

٤٩. أنظر : المروج : ٣/٣٠٧ .

٥٠. نفسه : ٣/٣٦٧ .

٥١. نفسه : ٣/٣٥٤ .

٥٢. نفسه : ٣/٣٢٣ .

٥٣. نفسه : ٤/٥٣ أكبر الظن أن كل هذه التنبؤات ليست صحيحة وإنما ابتدعها من كان يحسّ بوطأة الحكم ويفضل تغييره ، فهي وليدة الضيق من الذين لم يحصلوا على ما يبتغونه من مناصب أو مراكز كسواهم .

٥٤. نفسه : ٣/٣١٥-٣٢٠ .

٥٥. نفسه : ١/٣٦٥.

٥٦. نفسه : ٣/٣٠٩ .

٥٧. نفسه : ٣/٣٥٦-٣٥٩.

٥٨. نفسه : ٣/٣٦٦-٣٦٧.

٥٩. نفسه : ٣/٤٥٠-٤٥٢ .

٦٠. نفسه : ٣/٤٢٩ .

٦١. نفسه : ٣/٤٢٧-٤٢٨ .

٦٢. أنظر : نفسه : ٣/٣٥٥-٣٥٦ .

٦٣. نفسه : ٣/٤٢٦-٤٢٧ .

٦٤. المروج : ٤/١٩٣ .

٦٥. أنظر : تاريخ بغداد : ١٤/١٩٦ .

٦٦. المروج : ٣/٤٣٤-٤٣٥ وأنظر تاريخ بغداد : ١٤/١٩٦.

٦٧. أنظر : نفسه : ٣/٤٣٥-٤٣٦ .

٦٨. أنظر : تاريخ بغداد - ترجمة القاضي فقد نفى عنه هذه التهمة.

٦٩. نفسه : ٣/٤٥٣ .

٧٠. المروج : ٣/٤٧٤-٤٧٥ .

٧١. نفسه : ٢/٣٨-٣٩ .

٧٢. في كتاب أخبار أبي تمام ٢٧٣ أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائتين .

٧٣. أنظر : المروج : ٣/٤٨٠-٤٨٧ .

٧٤. نفسه : ٣/٤٧٤ .

٧٥. نفسه : ٤/٥-٦ .

٧٦. نفسه : ٢/١٨٠ .

٧٧. نفسه : ٣/٤٥٩ .

٧٨. أي سنة ٢٤٣ هـ (الأعلام : ١/٣٨) .

٧٩. المروج : ٤/٢٣ .

٨٠. نفسه : ٤/٢٣-٢٧ .

٨١. المروج : ٤/٢٧-٢٨ .

٨٢. نفسه : ٣/٣١١ .

٨٣. هي السنة الصحيحة في نفيه (أنظر : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري) .

٨٤. المروج : ٤/٢٨-٣٢ ، ٤١-٤٣ .

٨٥. نفسه : ٤٥/١ وأنظر ديوان علي بن الجهم ٢٢٨-٢٥٠ فقد جاء فيه (٣٣٠) بيتاً من الأرجوزة .

٨٦. المروج : ٤٢/٤-٤٤ .

٨٧. نفسه : ٥٦/٤-٥٧ الجدير بالذكر أن هذا الشاعر التمار بقي إلى عهد المعتمد وقمت بجمع شعره ودراسته وسيكون أحد شعراء (سلسلة شعراء عباسيون) .

٨٨. نفسه : ٦١/٤-٦٢ ، لنا في ابن حميد كتاب اسمه (رسائل سيد بن حميد وأشعاره) وهو مطبوع .

٨٩. كيف يتسنى هذا وابن ميادة توفي سنة ١٤٩هـ ، والبصير توفي بعد سنة ٢٥٨هـ (أنظر : شعراء عباسيون القسم ١٤٧/٢-١٧٧) فهناك إذاً تحريف في الاسم .

٩٠. المروج : ٦٢/٤-٦٣ .

٩١. نفسه : ٧٠/٤ .

٩٢. نفسه : ٨٤/٤ .

٩٣. نفسه : ٦٦/٤-٦٨ .

٩٤. نفسه : ٦٥/٤.

٩٥. نفسه : ٢٩/٤ .

٩٦. نفسه : ٦٩/٤ .

٩٧. نفسه : ٨٦/٤ ، ٩٠ الجدير بالذكر أني جمعت شعره وكتبت دراسة موسعة في حياته وشعره وهو أحد شعراء سلسلة (شعراء عباسيون) .

٩٨. نفسه : ١٠٩/٤-١١٠ والجدير بالإشارة إلى أن الحديث عن يموت وأبنه جاء في أعقاب الحديث عن الجاحظ الذي تكرر اسمه ومؤلفاته وأسلوبه في مواضع من كتاب المسعودي .

٩٩. نفسه : ١٩٤/٤-١٩٥ .

١٠٠. نفسه : ٢٠٣/٤-٢٠٥ .

١٠١. نفسه : ٤/٢٠٥-٢٠٦ الجدير بالذكر أن الدكتور المرحوم نوري القيسي اضطلع بمهمة جمع شعر الأصفهاني وسمّي المجموعة (أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني دراسة وتحقيق) . ونشرت المجموعة ببغداد ١٩٧٢ .

١٠٢. المروج : ٤/٢٠٦-٢١٣ : لنا في ابن بسام دراسة وجمع لشعره وما كان عليه من الميل إلى الهجاء الذي لم يفرق فيه بين الكريم والبخيل والشريف والوضيع والأمير والوزير بل تعدى ذلك إلى أبناء أسرته . وهو أحد شعراء القسم الثاني من سلسلة (شعراء عباسيون) وانتهينا في دراستنا لاتجاهه الهجائي إلى أنه كان منبعثاً من مرضى متأصل في نفسية الشاعر .

١٠٣. نفسه : ٤/٢٢٨-٢٣٠ .

١٠٤. لعل المسعودي أطلع على كتاب الصولي : (أخبار الراضي والمتقي) من كتاب الأوراق .

١٠٥. المروج : ٤/٢٣١-٢٣٣ .

١٠٦. نفسه : ٤/٢٥٩-٢٦٠ من الجدير بالإشارة أن الشيخ محمد حسن آل ياسين حقق ديوان الخبز أرزي ونشره في إعداد متتابعة في مجلة المجمع العلمي العراقي .

المصـــادر :

- أخبار البحتري للصولي ، ط (١) دمشق ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م .
- أخبار أبي تمام للصولي ، ط (١) ١٣٥٦-١٩٣٧ القاهرة .
- الأعلام للزركلي ط (٢) بيروت .
- أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني دراسة وتح/د. نـوري القيسي - بغداد ١٩٧٢ .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - بيروت .
- ديوان إسحاق الموصلي جمع وتح / ماجد العزي بغداد ١٩٧٠ .
- ديوان أبي تمام تح / محمد عبد عزام - مصر .
- ديوان أبي العتاهية تح/ د. شكري فيصل ، دمشق ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م .
- ديوان إبراهيم الصولي تح / عبد العزيز ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ديوان البحتري تح / حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٦٣ .
- ديوان بشار تح / ابن عاشور ، القاهرة ١٣٦٩-١٩٥٠ .
- ديوان خالد الكاتب تح ودراسة د. يونس أحمد السامرائي ، بغـداد ١٤٠٠-١٩٨١ .
- ديوان الخبز أرزي تح / الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٤١١هـ-١٩٩١ م .
- ديوان علي بن الجهم تح / خليل فردم ط (٢) ، بيروت .
- ديوان كشاجم تح / خيرية محفوظة ، بغداد ١٣٩٢-١٩٧٠ .
- رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع ودراسة يونس أحمـد السـامرائي ، بغداد ١٩٧١ .
- شعراء عباسيون الأقسام ١ ، ٢ ، ٣ ، جمع ودراسة وتحقيق ، د. يـونس أحمد السامرائي - بيروت - عالم الكتب .
- مروان بن ابي حفصة وشعره . قحطان رشيد التميمي بغداد ١٩٧٢ .
- مروج الـذهب ومعـادن الجـوهر للمسـعودي ، دار الأنـدلس - بيـروت ١٣٨٥هـ-١٩٦٦ م .